مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

الإعجاز القرآني والتنامي الدلالي للنص القرآني

الباحثة/ أسماء محمود محمد معروف

مدرس مساعد بقسم اللغة العربية

كلية الآداب – جامعة جنوب الوادي

DOI: 10.21608/qarts.2022.164983.1524

مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي – العدد (٥٧) أكتوبر ٢٠٢٢

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X

موقع المجلة الإلكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

الإعجاز القرآني والتنامي الدلالي للنص القرآني

الملخص :

تناول هذا البحث الإعجاز القرآني والتنامي الدلالي للنص القرآني، وهدف إلى توضيح الإعجاز القرآني، ودور تطور العلوم على مر الزمان في التنامي الدلالي للآيات القرآنية، واعتمد البحث على المنهج الوصفي الذى يقوم على تحديد خصائص الظواهر، ووصف طبيعتها، والتعرف عليها وتحليلها للوصول إلى حقيقتها ودلالتها، و تم تناول بعض الآيات القرآنية التي توضح علاقة الإعجاز العلمي بالتنامي الدلالي للنص القرآني، وخلص إلي عدة نتائج أهمها: عدم حصر دلالة الآيات عند دلالة معينة فصياغة القرآن الكريم تتسع لكل الدلالات والتطورات، فكلما تعمقنا في قراءته وتأمل معانيه وجدنا في كل سورة من سوره وفي كل آية من آياته جديدًا يؤكد إعجازه وروعة بيانه وبلاغته ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥ ﴾ الإسراء: ٨٥، وهذا ما يجعل التنامي الدلالي دائم مستمر على مر الزمان، وأن معجزة القرآن تتجلي يوما بعد يوم في ظهور بعض الاستدلالات العلمية والتقنية العالية والتي نقرؤها ونجدها في القرآن الكريم؛ فهو بني على أساس أنه كتاب كل العصور وكل فنون العلوم ودروبها، مما يجعل دلالات ألفاظ القرآن الكريم في تنامٍ دائم مستمر .

الكلمات المفتاحية : الإعجاز القرآني، التنامي الدلالي .

المقدمة

إن القرآن نزل في وقت كان العلم فيه بدائيا بالنسبة لمعارفنا الحالية، وقد حدثت تطورات وقفزات علمية هائلة بعد نزوله، بل إنه القرآن الكريم هو نقطة انطلاق مهمة في تقدم العلوم، فقد كرم العقل والفكر وحث على العلم والتعلم وكان دافع علماء المسلمين الأوائل في إرساء المنهج العلمي التجريبي في التفكير، وكان مخلص الإنسانية من الخرافات والأساطير والكهنوت التي أغرقت فيها الحضارات البشرية على الإسلام، وكلما استحدث العلم قانونا جديدا أو نظرية حديثة، وجدنا إشارة لها في القرآن الكريم لم نكن نلحظها من قبل، ووجدنا أن فهمنا لهذه الإشارة قد ازداد عمقًا وأخذ بعدًا جديدًا [١] .

ولا يخفى أن كون دعوة النبي – صلى الله عليه وسلم – التي هي شريعته المنعوت بها، فيها معجزته التي تحدى الخلق بها من أعظم الآيات، وأبهر المعجزات، وأظهر الدلالات، ولهذا استمرت معجزته العظمى باستمرار شريعته الغراء، وفيه إشارة وتنبيه وإيماء وتنويه إلى أن هذا النبي الأمين خاتم الأنبياء والمرسلين، فشريعته دائمة ما دام الملوان، ومعجزته باقية ما كر الجديدان[٢] .

كيفية الإعجاز في القرآن:

فإن قالوا كيف يكون القرآن معجزًا وهو غير خارج عن حروف المعجم التي يتكلم بها الخلق من أهل الفصاحة والعي واللكنة قيل لهم ليس الإعجاز في نفس الحروف؛ وإنما هو في نظمها وإحكام رصفها وكونها على وزن ما أتى به النبي صلى الله عليه

---

[١] الإعجاز العلمي في القرآن الكريم أعمال الندوة الثالثة ، الحديد وبأسه الشديد ا. د ممدوح عبدالغفور حسن رئيس هيئة المواد النووية ، ص ٥٦ .

[٢] لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية ، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، ط ٢ ، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م، ص ١٧٧ .

وسلم وليس نظمها أكثر من وجودها متقدمة ومتأخرة ومترتبة في الوجود وليس لها نظم سواها [١] .

ولقد كانت روعة القرآن الكريم وسحر بيانه مستوليًا على القلوب والأفكار، وكان يحس المؤمنون به بنشوة بالغة وهم يتمعّنون آيات الذكر الحكيم، وكان الكافرون المعاندون يحسّون في قرارة أنفسهم أن هذا الكلام ليس من كلام البشر وكانوا يحسون بحلاوة عباراته وطلاوة أسلوبه والمعاني الثرّة المغدقة في موضوعاته وأنه يعلو ولا يعلى عليه، كما قالها الوليد بن المغيرة في لحظة صدق مع نفسه عند ما طلب منه قومه أن يقول في القرآن قولا لتجتمع كلمتهم عليه ولا يظهرون الاختلاف أمام وفود العرب في الموسم، فبعد أن اعترف أنه ليس من كلام الشعراء لأنه لا ينسجم على أقرائه، وليس من كلام الكهنة لأنه لا يشبه زمزمتهم، وليس بخنق الجنون وهوسه، قال: والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمغدق أسفله مثمر أعلاه، وإنه يعلو ولا يعلى عليه ما يقول هذا بشر [٢] .

الإعجاز العلمي :

وهو أحد وجوه الإعجاز القرآني، وهو إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول – صلى الله عليه وسلم – مما يظهر صدقه فيما بلغ عن ربه [٣]، وهو يتجدد بتجدد الزمن وهو من الإعجاز

---

[١] تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (المتوفى: ٤٠٣هـ)، المحقق: عماد الدين أحمد حيدر، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان، ط١ ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م ، ج١ ، ص ١٧٨ .

[٢] مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، الناشر: دار القلم – دمشق، الطبعة : الثالثة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م، ص ٤٥ .

[٣] نماذج من الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، إعداد نخبة من أساتذة الهيئة، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مكتب القاهرة ، ص ٢٤ .

الغيبي .

وأن من أوضح أسرار الإعجاز في القرآن الكريم أن ألفاظه تكشف لكل عصر من المعاني بمقدار ما يتقدم العقل الإنساني في أسرار الأشياء، فكان فيها حياة أبدية، وكأنها مقدرة على طبقات العقل والعصور، وهي مع ذلك لا تتغير، وأنه لولا هذا السر لماتت هذه الألفاظ من زمن بعيد، فلم يكن السلف مخطئًا في الفهم وإنما كانت الطبيعة مخطئة في إفهامه، ولو كشفت له كما كشفت لنا وبقي على ذلك الفهم لكان هذا بابا من الجهل ليس في الجهل أوسع منه، على أن مثل هذه المسائل العلمية معدودة، والشأن كله فيما عداها من مسائل الإنسانية .

وهنا سر من الأسرار العجيبة، وذلك أنه قد صح أن النبي– صلى الله عليه وسلم – قبض ولم يفسر من القرآن إلا قليلًا جدًا، وتركه للعصور وعلومها وآلاتها، فلو هو فسر لثبتت ألفاظ القرآن على معنى واحد فناقضت العلم ولكان ذلك وجهًا يتطرق منه إلى الطعن في الإعجاز وفي الدين نفسه؛ إذ لا يسع الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلا أن يفسر للعرب على قدر أفهامهم وذرائعهم القليلة، فإذا تقدم العقل وانكشفت الحقائق أصبح ذلك لغوا، أفلا يكفي هذا المعنى سببا لوجوب التأويل، كما هو معنى من أظهر معاني الإعجاز[1] .

فالقرآن معجزة ليس هو من جهة فصاحته وبلاغته فقط، أو نظمه وأسلوبه، أو إخباره بالغيب والمغيبات، ولا من صرف الدواعي، والمعارضات، بل هو آية ومعجزة ظاهرة، ودلالة باهرة وحجة قاهرة من وجوه متعددة، من جهة اللفظ ومن جهة النظم ومن جهة البلاغة في دلالة اللفظ على المعنى، ومن جهة معانيه التي أمر بها، ومعانيه التي

---

[1] تحت راية القرآن، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ)، الناشر: المكتبة العصرية – صيدا – بيروت، ط ١، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م، ص ٢٧٣ .

أخبر بها عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وملائكته وغير ذلك، ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الغيب الماضي، والغيب المستقبل، ومن جهة ما أخبر به عن المعاد، ومن جهة ما بين فيه من الدلائل اليقينية والأقيسة العقلية التي هي الأمثال المضروبة كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ﴾[١]، وقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ ﴾[٢]، فكل ما ذكره الناس من وجوه الإعجاز في القرآن فهو حجة على إعجازه، ولا تناقض في ذلك بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له [٣].

فالقرآن الكريم يعد الكتاب الإلهي الوحيد الذي بقي وسيظل شامخا جامعا شاملا كل حاجات الإنسانية، فنجد هذا القرآن الكريم يعايش الحياة كلها، أرضها وسماءها، محسوسها ومعنوياتها وأنه يجمع بين دفتيه علوما لا حصر لها، وأن أي خطوة يخطوها الإنسان في اكتشاف أو اختراع أو تشريع أو تقنين عادل فإن القرآن الكريم يعتبر سابقا بالإشارة أو العبارة كل ما يصل إليه البشر [٤]، وهو كتاب الله الذي لا تنقضي عجائبه ولا يشبع منه العلماء وكلما أمعن المتأملون النظر فيه والفكر وجدوا أنفسهم أمام بحر من المعاني لا ساحل له، فمعانيه متجددة حية، تتجدد بتجدد الزمان والمكان، ومع كونه معجزة بيانية خالدة هو– مع ذلك– معجزة تشريعية ربانية، لذلك انصرفت إليه جهود

---

[١] **سورة الكهف ، آية : ٥٤ .**

[٢] **سورة الإسراء ، آية : ٨٩ .**

[٣] **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين ، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ) ، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق ، ط ٢ ، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م ، ص ١٧٦ .**

[٤] **انظر : تبسيط العقائد الإسلامية ، حسن محمد أيوب (المتوفى: ١٤٢٩هـ) ، الناشر: دار الندوة الجديدة ، بيروت – لبنان ، ط ٥ ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م ، ص ١٥٤ .**

علماء اللغة والبيان لمعرفة أساليبه وبلاغة بيانه، فهو كتاب العربية الأول والبيان الخالد[١].

فإن كل آية من كتاب الله تحمل علمًا إلهيًا، يعرفه البشر عن ارتقائهم بأسباب العلوم المعارف في الميدان الذى تتحدث عنه الآية القرآنية، والقرآن مليء بالآيات التي تتحدث عن مظاهر الكون، وحديثه عن الكون هو حديث من يعلم أسراره ودقائقه؛ لأنه هو الذى خلقه وأوجده؛ فهو الأعلم بحقائقه ودقائقه، مع أن البشرية كلها في زمن النبي – صلى الله عليه وسلم– لم تكن تعلم تلك الأسرار، وها هو الحق يبين كما وعد الله وها هي المعاني التفصيلية التي تضمنتها الآيات القرآنية عن الحقائق الكونية ترى وتتجلي فتعلم[٢] قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾ ﴾[٣] .

فلم يكن القرآن الكريم – في أي حال – أو في أي عهد من عهود الزمان لم يكن متعارضًا أو متناقضًا مع أصول العلم ومناهج الحكمة ونواميس الكون؛ بل إنه كلما اكتشف العلماء جديدًا من كليات العلوم وأصولها أو أي شيء من كنوز الحكمة وجدوا لها في كتاب الله مواضع وإشارات تنم عليها وتدل عليها .

نماذج قرآنية توضح علاقة التنامي الدلالي والإعجاز العلمي

ويمكننا الاستشهاد ببعض آيات الذكر الحكيم التي توضح التنامي الدلالي اللانهائي بها ، ومنها :

الإعجاز في قوله تعالي : ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾[٤]، والتنامي الدلالي :

---

[١] أرشيف ملتقى أهل التفسير ١٤٣٢ هـ ، ٢٠١٠ م ، ص ١١٠٩٢ .

[٢] انظر : نماذج من الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، الهيئة العلمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، إعداد نخبة من أساتذة الهيئة ، ص ٩ ، ١٠ .

[٣] سورة ص ، آية : ٨٧ – ٨٨ .

[٤] سورة الطارق : آية : ٤ .

فما هي مفاهيم الحفظ الذي يقيمه الله على كل نفس حماية لها ؟ إن من مفاهيمه أن الله يحفظنا من الأخطار المحدقة بنا لأنه سبحانه ﴿ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٦٤ ﴾[١]، فهو يحفظنا دون أن ندرى من أخطار لا ندركها، ومن معاني هذا الحفظ أن الله سخر بعض ملائكته لتسجل علينا أقوالنا وأفعالنا؛ ليجازينا عنها بما نستحقه من جزاء كما قال سبحانه ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ١٢ ﴾[٢].

ومن معاني هذا الحفظ أن على كل منا رقيبا يحفظه من أن يدمر الآخرين، أو يعيث في الأرض فسادًا إلا حين يشاء الله أن يجعل الناس فتنة للبعض الآخر .

ومن المعاني الحديثة لهذه الآية وهذا الحفظ، أن يقرر العلماء حقيقة وجود كرات الدم البيضاء داخل جسم الإنسان والتي مهمتها الدفاع عن الجسم إذا تسللت إليه الجراثيم الممرضة، وقد اتسعت البحوث إذا أردنا التفصيل العلمي .

ومن المعاني الحديثة أيضًا لهذه الآية وهذا الحفظ، ما كشفه الأطباء من وجود خطوط دفاعية داخل الجسم تكافح الجراثيم الغازية له؛ منها مثلًا : الشعيرات والمخاط في الأنف إذا تسللت الجراثيم عن طريق الأنف، ودمع العين إذا تسللت الجراثيم عن طريق العين، ودفاع اللوزتين إذا تسللت عن طريق الفم[٣] .

ويمكن القول بأن مصطلح الدلالة أطلق عليه العديد من التسميات من أبرز وأدق هذه التسميات (المعني) .

---

[١] **سورة يوسف ، آية : ٦٤ .**

[٢] **سورة الانفطار، آية : ١٠ – ١٢ .**

[٣] **الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، مجلد الأعمال الندوات ٤– ١٠ ، الجزء ٣ ، ص ١٠ .**

وأن الكلام بالقصد ليس بالمواضعة الأولي فقط بل حتي في تقسيم الدلالات إلي خاصة وعامة [١]، ويتعداها إلي أبعد من ذلك إذ إن الكلام يستمد ثراءه الدلالي من قانون القصد الذي يستمد ثراءه من المتكلم الذي يجعله متحركًا ومؤثرًا في تحديد المعني[٢] .

والقصد معني خاص بالفرد لكنه تحول إلي معني عام يخص علم الدلالة؛ لأن القصد تحول من قصد فردى إلي جماعي وذلك عن طريق تحليل النصوص ومعرفة مقاصدها أي دلالاتها، وعلم الدلالة الحديث يرفض الاهتمام بالمعني الخاص بالفرد؛ لأن الفرد قد ينحرف عن الأنموذج الطبيعي حيث يقول بالمر" عندما استخدم كلمة فإنها تعني ما اختاره أنا ليس أكثر ولا أقل [٣]، بينما كان العرب الأوائل أقرب لعلم الدلالة الحديث الذي يرفض المعني الفردي غير المعروف عندما سأل أبو الأسود الدؤلي رجلًا عن كلامه فقال له : هذه لغة لم تبلغك يا أبا الأسود، فقال له: لا خير لك فيما لم يبلغني[٤].

---

[١] ينظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي أبي الحسن عبد الجبار، إعجاز القرآن ج١٦، ١٤، وينظر التفكير اللساني في الحضارة العربية، عبدالسلام المسدى، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ٢٠٠٩، ص: ١٤٥، مصطلحات الدلالة العربية، دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، تأليف: جاسم محمد عبد العبود، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص ٥٨ .

[٢] البحث الدلالي عند المعتزلة (أطروحة دكتوراه) لعلى حاتم الحسن : ٣٠ ، مصطلحات الدلالة العربية، دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، تأليف : جاسم محمد عبد العبود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ص ٥٨ .

[٣] علم الدلالة إطار جديد، تأليف ف. ر . بالمر، ترجمة دكتور صبري ابراهيم السيد، جامعة عين شمس ١٩٩٥، دار المعرفة الجامعية، ص : ١٩ ، مصطلحات الدلالة العربية ، دراسة في ضوء علم اللغة الحديث ، تأليف د. جاسم محمد عبد العبود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص ٥٨ .

[٤] دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس : ١٧، مصطلحات الدلالة العربية، دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، تأليف: جاسم محمد عبد العبود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص ٥٨ .

ويقصد أبو الأسود من كلامه هذا، أنه لا خير في كلام لا يعرف قصده الناس أي يجب على المتكلم أن يوضح مقاصد كلامه، وهذا ما يهدف إليه علم الدلالة الحديث، وهو ما يسمى بالإيصال الدلالي[١] .

الإعجاز في قوله تعالي ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ [٢] والتنامي الدلالي .

فإن المتلقي وهي تطالعه هذه الآيات تمر على خياله مناظر فنية ، وكأنه يراها رأى العين، أو كأنها معروضة أمامه على شاشة تلفاز[٣]، وإنه ليتضح في التصوير القرآني في هذه الآية عظم الدلالة من خلال هيأتين متقابلتين ونموذجين مختلفين ، فبعد أن أوضحت الصورة الفنية الأولي الشعاع الكاذب في السراب والالتماع الخلب في البيداء، عقبت ذلك بنقيض الشعاع والالتماع وبعد تصوير الخيبة من الظفر بالسناء، عقبته بالظلمات المتراكمة بعضها فوق بعض والفوقيات المتراكبة طبقا عن طبق فهي ظلمات في بحر لا قعر له، عميق غزير المياه، تحوطه الأمواج المتدافعة، والسحب الثقال، والظلمات المتعاقبة في ثلاثة مظاهر من ظلام الليل، وظلام الغمام، وظلام البحر حتى ليخطئوه تمييز يديه، فلا يرى ذلك إلا بعد عسر وحرج، أو لا يرى ذلك أصلاً، وأنى له الرؤية، وقد انغمس في ظلمات الكفر وارتطم بمتاهات الضلال، فانعدمت الرؤية،

---

[١] **مصطلحات الدلالة العربية ، دراسة في ضوء علم اللغة الحديث ، تأليف د. جاسم محمد عبد العبود ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص ٥٨ .**

[٢] **سورة النور: آية ٤٠ .**

[٣] **فهم النص القرآني من خلال المنهج الدلالي، الأستاذ : جمال شلباب، مخبر الدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية، جامعة المسيلة، الجزائر، العدد الأول، ص ٦٩ .**

وانطمست البصيرة، فهو في شبهات لا نجاة معها، ومن لم يقدر له الخلاص من الله فلا خلاص له[١] .

وهذا التركيب المؤلف من عدة ظواهر وكلمات يطلق عليه المصاحبة اللغوية والتي تعني الاقتران والموافقة بين شيئين، لها دور كبير في تكوين المعني وبيان الدلالات، وتحديد معني اللفظ يكون مقرونًا بذكر مصاحبة حتي يتضح معناه، وقد يلجأ إلي عقد مصاحبات لغوية فيها انزياح عن المألوف باعتماد المجاز وذلك أمر شائع؛ بل عليه تدور الفصاحة وفي ضوئه يعرف مدى أدبية النص[٢] .

فهذا المجاز يترجم على عكس سابقه عن صورة لا علاقة لها بالوسط الجغرافي للقرآن، بل لا علاقة لها بالمستوى العقلي أو المعارف البحرية في العصر الجاهلي وإنما هي في مجموعها منتزعة من بعض البلدان الشمالية التي يلفها الضباب، ولا يمكن للمرء أن يتصورها إلا في النواحي كثيفة الضباب في الدنيا الجديدة، فلو افترضنا أن النبي رأى في شبابه منظر البحر فلن يعدو الأمر شواطئ البحر الأحمر أو الأبيض ومع تسليمنا بهذا الفرض فلسنا ندرى كيف كان يمكن أن يرى الصورة المظلمة التي صورتها الآية المذكورة ؟ وفي الآية فضلًا عن الوصف الخارجي الذى يعرض المجاز المذكور سطر خاص بل سطران : أولهما الإشارة الشفافة إلي تراكب الأمواج، والثاني: هو الإشارة إلي الظلمات المتكاثفة في أعماق البحار، وهاتان العبارتان تستلزمان معرفة علمية بالظواهر

---

[١] انظر : الصورة الفنية في المثل القرآني دراسة نقدية وبلاغية ، المؤلف محمد حسين على الصغير ، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد، شركة المطابع النموذجية ١٩٨١م، ص ٢٨١، ٢٨٢ .

[٢] فهم النص القرآني من خلال المنهج الدلالى، الأستاذ: جمال شلباب، مخبر الدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية، جامعة المسيلة، الجزائر، العدد الأول، ص ٧٠ .

الخاصة بقاع البحر، وهي معرفة لم تعرف للبشرية إلا بعد معرفة جغرافية المحيطات ودراسة البصريات الطبيعية .

وغني عن البيان أن نقول: إن العصر القرآني كان يجهل كلية تراكيب الأمواج، وظاهرة امتصاص الضوء واختفاءه في عمق معين في الماء، وعلى ذلك فما كان لنا أن ننسب هذا المجاز إلي عبقرية صنعتها الصحراء، ولا إلي ذات إنسانية صاغتها بيئة قارية[١] .

فقد كشف العلم الحديث أن هناك موجًا داخليًا يغشى البحر وهو أطول وأعرض من الموج السطحي، وقد تمكن الباحثون من تصوير هذا الموج بالأقمار الصناعية أيضا، والقرآن يذكر هذه الحقيقة قبل قرون، والظلمات التي في البحار العميقة والأمواج التي تغشاها كشف العلم الحديث أن في قاع البحار العميقة –كثيرة الماء– (البحر اللجي) ظلمات شديدة، حتى أن المخلوقات الحية تعيش في هذه الظلمات بدون آلات بصرية وإنما تعيش بواسطة السمع، ولا توجد هذه الظلمات الحالكة في ماء البحر الذي يحيط بالجزيرة العربية[٢] .

وهناك العديدة من الآيات التي تعطينا معاني جديدة، يظهر بعضها في زمن، ويظهر بعض ما فيها في أزمان متوالية؛ تبعا لازدياد فنون الثقافة والكشوف العلمية المتوالية، وأن على العلماء المسلمين المعاصرين إيضاح هذه المعاني حسب ما لديهم من علوم ومعارف حديثة تخدم المفاهيم هذه الآيات[٣] .

---

[١] الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، ترجمة عبدالصبور شاهين، دار الفكر، بيروت ، ١٩٦٨م ، ٣٥٦ .

[٢] الفرقان في بيان إعجاز القرآن ، أبو محمد عبد الكريم بن صالح بن عبد الكريم الحميد ، الناشر: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م ، ج ١ ، ص ٢١٠ .

[٣] الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، مجلد الأعمال الندوات ٤- ١٠ ، الجزء ٣ ، ص ٨ .

الإعجاز في قوله (وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ) والتنامي الدلالي :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[1]

هذه الومضات القرآنية المبهرة حقيقة، يعجز الإنسان أن يعبر عن كافة دلالاتها، هذه الآية قد يكتب الإنسان فيها مجلدات، يثبت العلم الآن أن كافة أجساد الكائنات الحية ماء، الإنسان مثلا ٧١٪ من جسمه ماء .

ومن دلالات هذه الآية أن المكون الأكبر في كافة أجساد الكائنات الحية التي نعرفها على سطح الأرض هو الماء، وأن كافة وظائف الجسم الحى تتوقف في غيبة الماء ولا تنشط إلا بوجود الماء، فالماء ليس مكون الجسد فقط، بل إن النشاط الحيوي للأجساد سواء كانت نباتات أو حيوانات يتوقف على الماء، لا يمكن أن تقوم بنشاطها الحيوي في غيبة الماء فالماء هو أول مكان خلقت فيه الحياة، ثابت علميًا أن الخلق في البحار والأنهار سبقا الخلق علي اليابسة بملايين السنين، وأن الحياة ازدهرت في البحار وكانت اليابسة خالية تمامًا من أنماط الحياة، هذه الآية القرآنية المبهرة تعني أن أجساد الكائنات الحية خلقت من الماء وأن الوظائف الحيوية لا تتم في غيبة الماء وأن الحياة خلقت أصلا في الماء، ثم بعد ذلك في اليابس، هي آية دقيقة مبهرة محكمة تتحدث عن حقيقة كونية لم يعرفها العلماء إلا منذ سنوات قليلة [2] .

---

[1] **سورة الأنبياء ، آية : ٣٠ .**

[2] **الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، من إعجاز آيات : إظلام الكون ، البحار والأنهار ، أ. د/ زغلول النجار، مجلد الأعمال الندوات ٤- ١٠ ، الجزء ٣ ، ص ٢٧ .**

الإعجاز في قوله تعالي ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ [١] والتنامي الدلالي

فلفظة التراب إذا أضيف إليه الماء صار طيناً، وقد عبر القرآن عن هذه الحالات الثلاث في قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا ﴾[٢]، وقوله تعالي:﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۚ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[٣]، وقوله تعالي: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾[٤] .

والتراب هو مادة الأرض، وقد اعتبر في نظر مؤلفي المعاجم معروفاً، فلم يعرّفوه ولكن القرآن اهتم بالربط بينه وبين الإنسان، منشأً ومصيراً، فما حقيقة هذا المنشأ؟

يقرر التحليل العلمي أن عناصر التراب تبلغ اثنين وعشرين عنصراً، هي: الأكسجين، والهيدروجين، والكربون، ومنها تتشكل المركبات العضوية من سكريات ودهنيات وبروتينات وفيتامينات وهرمونات، كذلك نجد من مكوناته الكلور والكبريت ... والكروم، والبور.

هذه هي حقيقة التراب في ذاته، ودلالته العلمية التي نذكرها عندما نريد تحديداً لماهيته، ولكن التراب المذكور في القرآن مادة خلق الإنسان يزيد عن ذلك عنصراً إلهياً لا يدخل في اختصاص المعامل والمختبرات، ولولا هذا العنصر الذي يعتبر أساس الإبداع ما تحول التراب إلى مادة حية.

---

[١] سورة غافر: آية ٦٧ .

[٢] سورة الفرقان ، آية : ٥٤ .

[٣] سورة الأنبياء، آية :٣٠ .

[٤] سورة المؤمنون، آية : ١٢ .

وبين أيدينا تراب الأرض وفي أيدينا وسائل العلم المتقدمة، ومع ذلك لا يمكن أن نصل إلى شيء من سر هذا التراب المتخلق، وبعبارة أخرى: إن للتراب القرآني مدلولاً أوسع من مدلول التراب الأرضي، وللغة سلوك متميز حين تخص العناصر المختلفة بأسماء تعين اختلافها، أما لغة القرآن فقد أبقت على الكلمة كما هي، مع ما طرأ على معناها من اتساع .

كذلك لفظة الماء فإن مدلول الماء العادي يختلف عن مدلول الماء الذي جعل الله منه كل شيء حي، وكلاهما ماء، وكذلك الطين، والصلصال، والحمأ المسنون، كانت قبل القرآن تعني شيئاً عادياً أو ضئيلاً، فصارت بالقرآن تعني الشيء الكثير اللا متناهي.

فإذا قيست دلالة هذه المفردات كما كانت في لسان العرب قديماً، بما صارت إليه في لغة القرآن الكريم أدركنا ما طرأ عليها في الاستعمال من رحابة واتساع، وأدركنا أيضاً أن المدلول يزداد اتساعاً مع تقدم البحث العلمي[١] .

إعجاز لفظة الدابة وتناميها الدلالي :

الدابة من الألفاظ المعمرة التي قد يرد على قارئها في سياقها إشكال مرده إلى التطور الدلالي الواقع فيها [٢]؛ ذلك أن جماع المعني – كما يلمح إليه ابن فارس – ؛ حركة على الأرض أخف من المشي، تقول دب دبيبًا، وكل ما مشي على الأرض فهو دابة[٣] .

---

[١] أرشيف ملتقى أهل التفسير ، ص ٩٢٥ .

[٢] أثر استشراق التطور الدلالي في فهم النص القرآني : نماذج جزئية وموجهات كلية، مهدى أسعد عرار، فلسطين ، الضفة الغربية ، جامعة بيرزيت ، كلية الآداب ، دائرة اللغة العربية وآدابها ، ص ٥ .

[٣] معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، ج ٢، ص ٢٦٣ .

وليس يخفي تلكم الصبغة العمومية العريضة التي تلوح للقارئ من كلام ابن فارس: كل ما مشي على الأرض فهو دابة، والحق أن الدلالة اللغوية ترشح لأن تشمل هذه الدلالة على كل ما يدب على وجه هذه البسيطة، فالطير دابة، وقد أخرج بعض الناس الطير، وهو مردود، فإن الطير يدب على رجليه في بعض حالاته [١] .

ولكن هذه الدلالة قد تطورت، فأفضي هذا إلى اطراح بعض ما يدب على الأرض من مضمارها، كالإنسان، وقد التفت صاحب اللسان إلي هذا التطور الدلالي الحادث، فأشار إلي أن الدابة هي التي تركب، وأن هذا الاسم غلب على ما يركب من الدواب، وحقيقة الصفة[٢]، وهذا تطور دلالي هيئته التخصيص[٣] .

إذ إنها كانت دلالة رحبة عريضة تشتمل على مدخلات كثيرة، ولكن دائرتها الدلالية قد انكمشت فاطرح بعض ما تستغرقه كالإنس والجن والطير في هذه الأيام .

وقد وردت دلالة الدابة في التنزيل العزيز بالمعنيين؛ المتقادم والحادث[٤]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ٣٨ ﴾ [٥] .

---

[١] الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة ، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م ، ج ٢ ، ص ١٩٦ .

[٢] لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت ، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ ، ج ١ ، ص ٣٧٠ .

[٣] عوامل التطور اللغوي، أحمد عبد الرحمن حماد، ص ١٤٨ .

[٤] أثر المجاز في النمو اللغوى ، معاني اللّغة في الاستعمال، أسماء مغراوي، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان - الملحقة الجامعية بمغنية، قسم اللغة و الأدب العربي السنة الجامعية: ٢٠١٥-٢٠١٦ ، ص ٨٤ .

[٥] سورة الأنعام : آية ٣٨ .

يظهر من هذا السياق الشريف أن ثم ثالوثًا مؤتلفًا من الآدمي، ويتعين من إلماحته– تعالي– أمم أمثالكم، والطير، ويتعين من قوله تعالي " وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ " والدابة، والظاهر أن الدابة في هذا السياق الشريف قد جاءت بالمعني الحادث، وقد اهتدينا إلي المقصد المتعين منها بالفيء إلي السياق البنيوي وفضله في استشراف المعني [١] .

وهنا انتقال من معني لآخر من خلال تطور دلالات الألفاظ من الحقيقة إلي المجاز في الاستعمال من شيء مادى إلي آخر معنوي فقد توجه الزمخشري إلي دلالتها ها هنا؛ أن كل نفس دبت على وجه الأرض عقلت أو لم تعقل، والمراد في هذا أن الداب قد يكون للعاقل، وغير العاقل أي شيء حسي مادى، أو معنوي، بمعني آخر مثلا : السيارة تدب لأنها تتحرك، وهاهنا انتقال مجازى لتطور دلالته من الإنسان إلي الجماد[٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۡۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ ﴾ [٣].

لعل دلالة الدابة في سياقها المتقدم جادت على اعتبار المعني المتقادم العريض، وإليه أشار القرطبي قائلًا : أي نفس تدب على الأرض، وكل ما فيه روح يقال له داب، ودابة، والهاء للمبالغة [٤] .

---

[١] انظر: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة ، الطبعة : الثانية ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م ، ج٦ ، ص ٤١٩ .

[٢] التطور الدلالى ، الإشكال والأشكال والأمثال ، مهدى أسعد عرار ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٢٤-٢٠٠٣ ، بيروت ، لبنان ، ص٤٠ _٤١

[٣] سورة هود : آية ٥٦ .

[٤] الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦ ﴾ [1] .

وإنما نظم الكلام على هذا الأسلوب تفننًا لإفادة التنصيص على العموم بالنفي المؤكد بـ (من) ، ولإدماج تعميم رزق الله كل دابة في الأرض في أثناء إفادة عموم علمه بأحوال كل دابة، فلأجل ذلك أخر الفعل المعطوف؛ لأن في التذكير بأن الله رازق الدواب التي لا حيلة لها في الاكتساب استدلالًا على أنه عليم بأحوالها، فإن كونه رازقًا للدواب قضية من الأصول الموضوعة المقبولة عند عموم البشر، فمن أجل ذلك جعل رزق الله إياها دليلًا على علمه بما تحتاجه[2] .

وليست تجلية مطلب القول على الدابة في سياقها الشريف هذا ببعيدة عما تقدم آنفا؛ إذ إن المرجح أن تعيين دلالة الدابة ههنا لا يكون إلا باسترفاد النظر القائل بالتطور الدلالي الواقع فيها، واستبطان معناها المتقادم، ولذلك يمكن جدًا أن تكون كلمة الدابة ههنا عامة تشتمل على كل ما دب، وقد التفت الطبرسي بثاقب بصره ، وبعيد تأمله إلي الدلالة المتقادمة التي تستغرق كل ما دب على وجه هذه البسيطة فقال : أي : ليس من دابة تدب على وجه الأرض، ويدخل فيه جميع ما خلقه الله تعالي على وجه الأرض من الجن والإنس والطير والأنعام والهوام[3] .

أطفيش ، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة ، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م ، ج٩ ، ص ٥٢ .

[1] سورة هود : آية ٦ .

[2] التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) ، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس ، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ ، ج ١٢ ، ص ٧٣ .

[3] مجمع البيان في تفسير القرآن ، الفضل بن الحسن الطبرسى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧م ، ج٥، ص ١٨٢ .

ولما ورد عليها القرطبي أشار إلي أنه سبحانه أخبر برزق الجميع، وأنه لا يغفل عن تربيته[١]، ومن مثل ما تقدم قوله تعالي قَالَتَعَالَىٰ:﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡ﴾ [٢]، وتوجيه دلالتها ههنا عند الزمخشري : كل نفسٍ دبت على وجه الأرض عقلت أو لم تعقل [٣] .

وفي قوله تعالي: ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦ ﴾ [٤] .

فقيل : مع تقدم العلوم البيولوجية خلال المائة عام السابقة أحصى العلماء ١٦٧٠٠٠٠ نوع موجود على سطح الأرض من النبات والحيوان والحشرات ويتوقع العلماء أن يتم التوصل إلى عشرة أضعاف هذا العدد في المستقبل، المهم في الأمر أن لكل نوع من الأنواع طرائقها في المعيشة والغذاء والانتشار والتحول والسلوك بما نسميه أن لكل نوع حيزًا بيئيًا يعيش فيه ويختلف عما للأنواع الأخرى، فذكور كل نوع يتصل بإناث نوعها فقط، وكل أنثي تضع بيضها في بيئة خاصة ومناسبة للبيض وللصغار بعد فقسها، وبذا فإن لكل نوع حياته الخاصة به لا تتداخل مع حياة الأنواع الأخرى (أمم أمثالكم)[٥]،

---

[١] الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة ، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م ، ج٩ ، ص ٦ .

[٢] سورة العنكبوت: آية ٦٠ .

[٣] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة : الثالثة - ١٤٠٧ هـ ، ج٣ ، ص ٤٦٢ .

[٤] سورة هود : آية ٦ .

[٥] الإعجاز العلمي في القرآن الكريم أعمال الندوة الثالثة ، القرآن الكريم وعلم الحشرات ا. د على على المرسي أستاذ علم الحشرات كلية العلوم جامعة القاهرة ، ص ٦٩ .

والمماثلة في قوله : أمثالكم التشابه في فصول الحقائق والخاصات التي تميز كل نوع من غيره، وهي النظم الفطرية التي فطر الله عليها أنواع المخلوقات، فالدواب والطير تماثل الأناسي في أنها خلقت على طبيعة تشترك فيها أفراد أنواعها وأنها مخلوقة لله معطاة حياة مقدرة مع تقدير أرزاقها وولادتها وشبابها وهرمها، ولها نظم لا تستطيع تبديلها[١]، وفيه من الدلالة على عظم قدرته سبحانه وتعالى، ولطف علمه، وسعة سلطانه وتدبيره تلك الخلائق المتفاوتة الأجناس، المتكاثرة الأصناف، وهو حافظ لما لها وما عليها[٢] .

الإعجاز في قوله تعالي ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾﴾[٣]

يأتي الإعجاز في هذه الآية من سورة الحجر في ثلاثة مواضع :

الأول : في قوله تعالي : (بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ) :

فيه من الإبهار العلمي ما يثير العقل : فالباب لا يفتح في فراغ أبدا، والقرآن الكريم يؤكد على أن السماء بناء حيث يقول تعالي : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[٤]، ويتحدث عن البناء، والبناء لا يمكن إلا إن يكون تجميعًا للبنات يربطها رابط فيما بينها، ويأتي العلم الحديث ليؤكد على أن المادة والطاقة تنتشران في فسحة الجزء المدرك لنا من الكون انتشارا كاملا، ولا يوجد شيء اسمه الفراغ .

---

[١] **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ، المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) ، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس ، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ ، ج٧ ، ص ٢١٧ .**

[٢] **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ ، ج ٢ ، ص ٢١ .**

[٣] **سورة الحجر: آية ١٤ .**

[٤] **سورة الذاريات: آية ٤٧ .**

وذلك نظرًا لتخلل الهواء مع الارتفاع حتي يكاد لا يدرك بعد ١٠٠٠ كم كان العلماء يقولون بعد ذلك يوجد فراغ فيأتي العلم ليؤكد أنه لا يوجد في الكون فراغ على الإطلاق، والكون بناء محكم دقيق، ويقول علماء الفلك : انه في لحظة الانفجار العظيم امتلأ الكون بالمادة والطاقة، فخلقت المادة والطاقة كما خلق المكان والزمان، أي لا يوجد زمان بغير مكان ولا مكان بغير زمان ولا يوجد زمان ومكان بغير مادة وطاقة، فالطاقة تملأ هذا الكون .

الثاني : في قوله تعالي (فَظَلُّواْ فِيهِ) :

هذا الظرف " ظلوا " يؤكد على ضخامة الكون وهذا الاستمرار، والجزء المدرك من الكون الآن، يبلغ قطرة ٣٦ ألف مليون سنة ضوئية ، السنة الضوئية ٩.٥ مليون كم، ولنا أن نتخيل ضخامة وروعة التعبير (فَظَلُّواْ فِيهِ) .

الثالث : التعبير ب (يَعْرُجُونَ) :

فيه إعجاز رائع : الحركة في الكون لا يمكن أن تكون في خط مستقيم أبدًا؛ وإنما في خط متعرج ومع الفارق، ونحن نتكلم عن ٢٠٠ كم فالصاروخ الذي يصعد تكون حركته في منحني حتى أينشتين يصف الكون الذي نحن فيه بأنه كون منحني ولذلك القرآن الكريم بصفة مستمرة يصف الحركة في السماء بالعروج، وهي حركة الأعرج الذي لا يتمكن من السير في خط مستقيم، حتى رحلة المصطفي – صلى الله عليه وسلم – في رحلة المعراج وصفت بالعروج [١] .

[١] **الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، من إعجاز آيات : إظلام الكون .. البحار والأنهار ، أ. د/ زغلول النجار ، مجلد الأعمال الندوات ٤– ١٠ ، الجزء ٣ ، ص ١٨ .**

الإعجاز في قوله تعالي : ﴿ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ١٢ ﴾[١]

هو انصداعها عن النبات وهذا صحيح؛ فنحن نغرس البذرة في التربة ونرويها فنجد نبتة طرية ندية تخترق التربة وترتفع إلي سطح الأرض شجرة باسقة أو شجرة يانعة أو غير ذلك من صور النبات، ولكن بعد الحرب العالمية الثانية بدأ العلماء في البحث عن الثروات المعدنية فوق قيعان البحار والمحيطات فلاحظوا أن أكثر أجزاء البحار والمحيطات ضحالة هي أواسطها وأن أكثر أجزاءها عمقا هي عند لقائها بحواف القارات، وهو عكس ما كان يعتقده الناس من قبل، وبدأ العلماء يتساءلون كيف يمكن ذلك ؟ فوجدوا في أواسط البحار والمحيطات سلاسل من الحروف التي تفوق في ارتفاعها أعلي القمم الجبلية على سطح الأرض وبدراسة تلك الحروف وجدت كلها مكونة من الصخور البركانية المندفعة عبر شبكة هائلة من الصدوع تمتد لعشرات الآلاف من الكيلو مترات طولا وعرضا لتمزق الغلاف الصخري للأرض بعمق يصل إلى ١٠٠ كيلو متر، وأن هذه الشبكة يندفع منها الحمم البركاني بملايين الأطنان ليكون تلك الحروف في أواسط المحيطات .

وشبكة الصدوع تلك تمزق الغلاف الصخري للأرض إلى عدد من الألواح المتباينة في أحجامها، فبعضها يشمل قارة و جزءًا كبيرًا من البحر المحيط بها، مثل اللوح الأفريقي، وبعضها صغير مثل الجزيرة العربية فهناك ١٢ لوح أساسي تشكل الغلاف الصخري للأرض بالإضافة إلي عدد من الألواح الصغيرة (اللويحات) وهذه الألواح واللويحات تتحرك متباعدة عن بعضها أو مصطدمة ببعضها البعض، وأصبح من الصفات الأساسية الثابتة للأرض أنها ذات صدع، وأنه لا يمكن للأرض أن تستمر ككوكب بدون تلك الصدوع .

---

[١] **سورة الطارق: آية ١٢ .**

وبالنظر إلي دقة الإشارة القرآنية ﴿ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴿١٢﴾ ﴾[1] ، يقسم ربنا تبارك وتعالى بحقيقة كونية لم يكن لأحد يعلم شيئا عنها على الإطلاق وقت نزول القرآن الكريم ولا لمئات من السنين من بعد نزوله، فنحن لم نكن نعلم ذلك إلا في أواخر الستينات من هذا القرن، حين بدأ مفهوم حركة الألواح الأرضية للأرض تبلور، وبدأت الأدلة على صحة ذلك المفهوم تتزايد اليوم بعد الآخر، ولعل ذلك يوضح أن الإشارة القرآنية تأتي بألفاظ محددة يرى منها أهل كل جيل فهمًا معينًا وتظل هذه المفاهيم تتكامل في غير تعارض وفي غير تضاد ، وهذا من أعجب صور الإعجاز في كتاب الله [2] .

الإعجاز في قوله تعالي ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾ ﴾[3]، والتنامي الدلالي

صياغة القرآن الكريم تتسع لكل التطورات، ففي عصر من العصور فهمت الآية أن البحار تتبخر يصعد بخار الماء إلى السماء ويعود مطرًا، ترجع بخار الماء مطرا، تقدم العلم صار في الأثير كل البث التلفزيوني و الإذاعي أو الموجات الكهرومغناطيسية حينما تنطلق إلى الفضاء الخارجي طبقة الأثير تردها إلى الأرض .

وتقدم العلم ظهر أن الكون كله كواكب ونجوم متحركة، لو لم تكن متحركة لأصبح الكون كله كتلة واحدة بحسب قانون الجاذبية لأن الكتلة الأكبر تجذب الأصغر، ولأن هناك توازن حركي في الكون إذا كل نجم يدور حول نجم آخر بمسار مغلق يرجع إلى مكان انطلاقه الأول، هذا المعنى الثالث، فإن صياغة القرآن صياغة الواحد الديان، ليست صياغة إنسان، أما حينما تأتي آية كونية تستوعب كل الاحتمالات القادمة .

---

[1] سورة الطارق: آية ١٢ .

[2] مجلة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، أ. د/ زغلول النجار ، قضية الأرض ذات الصدع ، مارس ١٩٩٤، ص ٣١ ، ٣٢ .

[3] سورة الطارق: آية ١١ .

قال المفسرون : رجع السماء هو المطر، بمعني أن الماء يتبخر إليها بطريقة مباشرة من أسطح البحار والمحيطات والأنهار والبحيرات، أو يصعد إليها من نفس الإنسان والحيوان ونتح النبات، ومن فوهات البراكين وغير ذلك ثم يتكاثف في طبقات السماء الدنيا ويرجع منها إلي الأرض في صورة مطر وهو كلام صحيح، لكنا نعلم الآن أن الله تبارك وتعالي قد جعل لهذا الغلاف الغازي الذي يلف الأرض من الصفات ما يحمي الحياة علي سطح الكوكب، ويحافظ على ازدهارها فهو يرجع كثيرا إلي الأشياء النافعة التي ترتفع إليه من الأرض من مثل المطر كما يرد كثيرًا من الأشياء الضارة التي تسقط عليه من الخارج حماية للحياة على الأرض، فالطبقة الدنيا من الغلاق الغازى للأرض وتسمى التقلبات المناخية أو طبقة التروبوسفير تبرد باستمرار مع الارتفاع عن سطح البحر حتي تصل إلي درجات متدنية جدا من الحرارة، ولولا ذلك التبرد لضاع ماء الأرض منذ أول تبخر يتعرض له، فهذه الطبقة الباردة تساعد على تكثيف بخار الماء الصاعد إليها من سطح الأرض ورده إليها على هيئة المطر والبرد والندى والثلج وغيرها.

فالسماء إذا ذات رجع لبخار الماء الصاعد من سطح الأرض، ونعلم أيضًا أن جزءًا كبيرا من حرارة الأرض يرتد إليها بالانعكاس من على أسطح السحب التي تملأ تلك الطبقة الدنيا من الغلاف الغازى للأرض وهذه الحرارة ما لم تجد ما يعكسها لبردت الأرض برودة شديدة، فالسماء أيضًا ذات رجع لجزء غير قليل من حرارة الأرض الناشئة عن تحلل العناصر المشعة فيها، كذلك فإن الكثير من صور المادة والطاقة التي ترتفع من الأرض إلى الغلاف الغازي المحيط بها (ومنها الجسيمات الصلبة والعديد من صور الطاقة، والموجات اللاسلكية ما عدا بعض الموجات التي تتسم بقصر شديد في طولها) كل ذلك يرتد مرة أخرى من السماء إلي الأرض بفعل صفات خاصة وضعها فيها مبدع الكون، ولولا رجع السماء لتوقفت دورة الماء على الأرض ولفسد كل مائها أو تلاشي مع أول تبخرة ولولا رجع السماء لتعرضت الأرض لتبرد شديد لهروب حرارتها باستمرار إلي

الفضاء الخارجي، ولولا رجع السماء ما تمكن انسان من عمليات الاتصال اللاسلكي أو البث الإذاعي والتلفازي والتي تعتمد كلها على رجع السماء أي على ارتداد تلك الموجات المبثوثة مرة أخرى غلي الأرض بانعكاسها على اسطح الطبقات المتأينة من الغلاف الغازى للأرض والمعروفة باسم الأيونوسفير أو النطاق المتأين .

أما الرجع الخارجي للسماء فيتمثل فيما تقوم به طبقات الجو العليا من التفاعلات المعقدة بين الإشعاعات الكهرومغناطيسية ذات الأطوال المتباينة وبين جسيمات الإشعاعات الشمسية من جهة، وبينهما وبين التركيزات المتناهية في الصغر للغازات المكونة لتلك الطبقات العليا من الغلاف الغازى والمعروفة باسم حالة البلازما، ومن جهة أخرى يتحكم المجال المغناطيسي للأرض في تلك التفاعلات التي من أبرزها :

١- تكون عدد من الأحزمة المشبعة بالمواد المشعة حول الأرض على ارتفاع يزد على الخمسمائة كيلومتر فوق مستوى سطح البحر ممتدا إلي أبعاد تزيد على خمسة أضعاف قطر الأرض ، وتقوم هذه الأحزمة بحماية الأرض من وابل الجسيمات الكونية فائقة السرعة والتي تنهال بكميات مذهلة على الغلاف الغازى للأرض .

٢- تكون النطاق المتأين في الجزء الوسطى من الغلاف الغازى للأرض (٥٠ – ٩٠ كيلو مترا في مستوى سطح البحر) والذي يقوم كذلك برد أو امتصاص العديد من جسيمات الأشعة الكونية المهلكة وبإرجاع الكثير من مختلف صور الطاقة المنبثقة من الأرض بما في ذلك موجات البث الإذاعي والتلفازي .

تكوين طبقة الأوزون (على ارتفاع يتراوح بين ٢٥ ، ٣٠ كيلو مترا فوق مستوى سطح البحر) والتي تقوم بامتصاص غالبية الأشعة فوق البنفسجية القادمة من الشمس والتي لها آثار مدمرة على الكائنات الحية [١] .

الإعجاز في قوله تع الي﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [٢]، والتنامي الدلالي

يتجلى موقع " أطراف "، " ننقصها " في التعبير؛ فالأطراف توحى بنظرة شمولية لشكل الأرض، و" ننقصها " توحى بفكرة آلية عن طبيعة انتقاص الأطراف وهاتان حقيقتان علميتان بنظرية دحو القطبين وحركتهما[٣] يوضحهما قوله تعالى : ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [٤] .

ويتحدث القرآن الكريم عن إنقاص الأرض من أطرافها في آيتين كريمتين يقول ربنا تبارك وتعالي في الآية الأولي :﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[٥]، ويقول في الآية الأخرى ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ ﴾[٦]، وقد أثبت العلم الحديث أن الأرض الابتدائية كانت في حجمها مائتي ضعف

---

[١] مجلة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، أ. د/ زغلول النجار ، قضية رجع السماء ، مارس ١٩٩٤ ، ص ٢٨ ، ٢٩ .

[٢] سورة الأنبياء: آية ٤٤ .

[٣] تطور البحث الدلالى ، دراسة تطبيقية في القرآن الكريم ، د. محمد حسين على الصغير ، ط١ ، دار المؤرخ العربي بيروت لبنان ، ١٤٢٠ /١٩٩٩ ، ص ٥٦ .

[٤] سورة يس : آية ٤٠ .

[٥] سورة الأنبياء : آية ٤٤ .

[٦] سورة الرعد : آية ٤١ .

الأرض الحالية، وأنها أخذت في الانكماش باستمرار إلي أن وصلت إلى الحجم الحالي الذي ينكمش بدوره باستمرار بمعدلات بسيطة، وما كان أحد أبدا قبل سنوات قليلة يدرك هذه الحقيقة العلمية التي مؤداها أن الأرض الابتدائية كانت في حجمها أكبر بكثير من حجم الأرض الحالية، وأنها ظلت تنكمش باستمرار اليوم وهي مستمرة اليوم في الانكماش

ويلاحظ أيضا أنه نتيجة لدوران الأرض حول محورها أمام الشمس تنبعج الأرض قليلا عند خط الاستواء، وتتفلطح عند القطبين بمعدلات بطيئة، فقطر الأرض القطبي أقل ب ٤٢ كم عن قطر الأرض الاستوائي، هو معدل بسيط إذا قيس بعمر الأرض الذي يقدر بحوالي ٤٦٠٠ مليون سنة، هو معدل بسيط، لكنه إنقاص للأرض من أطرافها، كذلك فإن في اندفاع قيعان البحار والمحيطات تحت القارات وانصهارها إنقاص للأرض من أطرافها، وفي طغيان المياه على اليابسة إنقاص للأرض من أطرافها وهي كلها حقائق كونية لم يكن لأحد على الإطلاق إلمام بشيء منها في وقت نزول القرآن الكريم ولا لقرون عديدة من بعده [١] .

الإعجاز في قوله تعالى ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢٥ ﴾[٢].

الضيق: من ضاق الشيء انضمت أجزاؤه إذا كان مجوفا، والْحَرِجُ: اسم فاعل من حَرَجَ إذا اشتد ضيقه [٣]، ويشير القرآن الكريم في سورة الأنعام إلي حقيقة علمية هائلة

---

[١] **مجلة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، أ. د/ زغلول النجار، قضية إنقاص الأرض من أطرافها ، مارس ١٩٩٤ ، ص ٣٩ .**

[٢] **سورة الأنعام: آية ١٢٥ .**

[٣] **البحر المحيط في التفسير ، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) ، المحقق: صدقي محمد جميل ، الناشر: دار الفكر – بيروت ، الطبعة: ١٤٢٠ هـ، ج٤ ، ص ٦٢١ .**

مؤداها أن ضغط الهواء يتناقص مع الارتفاع، فيضيق بذلك الصدر ويصعب التنفس، وتنفجر الأوعية الدموية ويشرف الإنسان على الهلاك، ولا يوجد تعبير علمي للحالة التي تعتري الإنسان إذا ارتفع في السماء ومر بمناطق الضغط المنخفض ولم يكن مرتديا الألبسة الواقية من ذلك أدق من التعبير القرآني " يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ " وقد تبدو حقيقة تناقض ضغط الهواء مع الارتفاع في السماء من المسلمات العلمية اليوم لكن بالقطع لك يكن لأحد إلمام بها وقت تنزل القرآن الكريم ولا لعدد من القرون من بعد ذلك [١] .

وهذه الإشارات وردت في إيجاز وإعجاز وهذا الإيجاز في الإشارات العلمية يهدف إلى تشجيع الإنسان المؤمن على البحث وراء معانيها ومغزاها بتحصيل العلم في المجال الذي تختص به هذه الإشارة ودون أن يحملها أكثر مما ينبغي، ولكي تكون الإشارة دافعة إلى طلب العلم دائما فقد صيغت في إيجاز وإعجاز إلهي بحيث تظل دائما في حاجة إلي تفسير كلما جد في العلم جديد، وتظل دائما وحيا وإلهاما ونقطة انطلاق لكل من يبحث؛ ولهذا فإن أي تفسير لأي إشارة علمية وردت في القرآن الكريم لن يكون تفسيرا نهائيا، بل هو مرحلة ويجب تطويره مع التطورات العلمية باستمرار؛ وبالتالي فإن من يعتقد أنه فسر أي إشارة علمية تفسيرا نهائيا فهو واهم؛ لأننا لا ندرى ما يأتي به العلم في المستقبل، فإنه يتم فهم الظاهرة التي تتناولها الإشارة القرآنية فهما جيدا وبعدها محاولة وضع تصور للفرضية التفسيرية التي يمكن أن تكون تفسيرا لها، مع الأخذ في الاعتبار

[١] مجلة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، زغلول النجار ، قضية تناقض ضغط الهواء مع الارتفاع عن سطح الأرض ، مارس ١٩٩٤ ، ص ٤١ .

أن هذه الفرضية ليست نهائية وإنما هي مرحلية حسب الشواهد والمعلومات المتوفرة في ذلك مع الوقت ، ومع تراكم المعلومات يجب مراجعة تلك الفرضيات وتعديلها [1] .

الإعجاز في قوله تعالى﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤ ﴾[2]، والتنامي الدلالي

عدم حصر دلالة الآية على الحقيقة الواحدة فعند إحاطتنا بدلالات الكلمة اللغوية الحقيقة والمجازية واستعمالات العرب لها، إن وجدنا أن حقيقة علمية تؤيد إحدى هذه الدلالات، لا بأس عندئذ أن نرجح الدلالة التي أيدتها الحقيقة العلمية على أن لا نحكم بالبطلان والفساد على الدلالة التي رجحناها من جهة أخرى، فقد تكون الحقيقة العلمية التي رجحنا على ضوئها هذه الدلالة إحدى وجوه دلالات الآية، وظلالها ممتدّة إلى حقائق أخرى لم نتمكن من التوصل إليها حسب ثقافة عصرنا، إلا أن التقدم العلمي والحضاري كفيل أن يميط اللثام لنا عن جوانب أخرى؛ فمثلا في الآية الكريمة كان إلى ما يقرب من مائة سنة ينظر إلى دلالة (تسوية البنان) نظرة تختلف عن نظرتنا لها الآن بعد معرفة قضية البصمات، إلا أننا لا نبطل كلام السلف في معنى الآية، فالآية تدل على ما قالوه وما فهموه .

والشعور الذي استقر في نفوسهم عن أن هنالك حكمة عظيمة في خلق البنان وتسويته على هذه الشاكلة شعور مرهف وصحيح، وإن كان فهمنا الآن لدلالة الآية على ضوء معطيات العلم الحديث أعمق وأدل، وكذلك فإن شعورنا في دقة صنعة الخالق سبحانه وتعالى وحكمته سليم وصحيح ، ومع ذلك فإننا لا نستطيع أن نقول : إن معنى الآية هو هذا فحسب، وليس بعد فهمنا لها فهم آخر، بل قد يكشف لنا المستقبل عن

---

[1] **انظر : كتاب الإعجاز في القرآن والسنة ، كتاب غير دوري يصدر عن جمعية الإعجاز العلمي للقرآن والسنة بجمهورية مصر العربية ، صدع الأرض بين الإيجاز والإعجاز أ. د ممدوح عبدالغفور حسن ، العدد ٥ ، ص ١٨٧ ، ١٨٨ .**

[2] **سورة القيامة : آية ٤ .**

أسرار إلهية في البنان فوق ما تصورناه ووصلت إليه مداركنا العصرية، وتبقى الآية الكريمة مجال بحث الباحثين واستنباط المفكرين وبصمة إعجاز على جبين العصور[١] .

يمكننا القول : بأن القرآن الكريم لا يفسره عالم واحد ولا جيل واحد، ولكن كلما اتسعت فنون الثقافة العلمية وكثرت الكشوف وتنوعت الاكتشافات العلمية ظهرت لنا معان عظيمة، وانجلت وتجلت أمامنا أوجه لإعجاز آيات الله البينات لم تظهر من قبل [٢] .

فالقرآن الكريم كتاب المعجز الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾[٣]، وذهب ابن حجر في الفتح إلى أن تحدي الله لليهود في القرآن من أظهر معجزات القرآن فقال: "ومن أظهر معجزات القرآن إبقاؤه مع استمرار الإعجاز[٤].

فإن معجزة القرآن تتجلي يوما بعد يوم في ظهور بعض الاستدلالات العلمية والتقنية العالية والتي نقرؤها ونلمس ونحس بتواجدها في القرآن الكريم، وهذا القرآن قد بني على أساس أنه كتاب كل العصور وكل فنون العلم ودروبها ، بحيث أنك لو قرأت الآية الكريمة فإنك قد تكتشف – كل حسب تخصصه – أنه قد أتي ذكر من علم الله والذي ينطبق على حالة معينة وبعض الآيات الأخرى والتي أتي ذكر العلم فيها على

---

[١] مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم ، الناشر: دار القلم – دمشق الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م، ص ١٦٣ .

[٢] الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، مجلد الأعمال الندوات ٤– ١٠ ، الجزء ٣ ، ص ١٣ .

[٣] سورة فصلت : آية ٤٢ .

[٤] انظر حاشية : رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ) المحقق : عبد الله شاكر محمد الجنيدي ، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: ١٤١٣هـ ج١ ، ص ٩٤ .

وجه عام، من هذا المنطلق فلا يجب أن نفسر القرآن وأن نربط آياته وكلماته بما هو قائم الآن بل يجب علينا أن نسبح بحمد الله ونحمده على عطاياه بذكر الآيات الكريمة التي تتحدث في مواضيع شتى تناولت نفس الظواهر مثل ما قد تتحدث عنه كلمات الله التامة من ذكر حكيم لموضوع معين مثل الفلك مثلا، فقد يرى الباحث الفلكي ما يخصه هو فقط من علوم دون النظر إلي بعض ما قد يتطرق إليه المهندس وفي نفس الآية فقد يرى فيها المهندس ما قد يمس شغاف عقله هندسيًا وتقنيًا، وهكذا تسير فلسفة القرآن وهذه هي الحكمة الأبدية التي جعلت منه كتابًا يناسب كل العصور ويخاطب كل العقول، فهو لن يكون كتابا يخاطب عقلا بذاته أو يتحدث عن نوعية من العلم بذاتها دون الأخرى .

وإن الكلمة كلفظة مفردة تملك القدرة على أن تضخ عددًا لا نهائي من المعاني والصور المرتبطة بها، ولهذا يمثل المعني الأساسي للكلمة القاعدة التي ينطلق منها فيض الدلالات المختلفة عبر الأماكن والأزمنة، فهي تعني كذا في مكان كذا، وفي زمن كذا، فيأتي كل جيل وكل مكان ليضع بصمته على الدلالة الجديدة لهذه الكلمة؛ فتنشأ نتيجة لهذه شبكة دلالية موسعة لهذه الكلمة [1] .

ومن هنا قد لخصه الله سبحانه وتعالي في عبارة واحدة وفي آية واحدة من سورة الكهف، حيث قال المولي سبحانه وتعالي ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩ ﴾[2]؛ فسبحان الذي أعطي فمنح وسبحان

[1] الاستعارة القرآنية والنظرية العرفانية أ. د عطية سليمان أحمد ، ص ٢٧ .

[2] سورة الكهف : آية ١٠٩ .

من خلق فأبدع وأعطي الإنسان نفحة من روحه، أي أعطي الإنسان منه العقل كي يتدبر أمور حياته الدنيوية، وكي يفكر ويكد ويذكر الله كثيرا، ألا بذكر الله تطمئن القلوب [١] .

وسوف يستمر عطاء القرآن على مر الزمان، وسوف يستمر علماء العلوم المدنية والتخصصات الكونية والبحوث التقنية، في الكشف عن مختلف جوانب الإعجاز في كتاب الله المجيد، معجزة الإسلام الخالدة[٢]، مصدقا لقول رسول الله – صلي الله عليه وسلم – " الخير في أمتي إلي يوم القيامة " وتنفيذا للوعد الإلهي " قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[٣].

لقد كان القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة الذي انبثقت منه كل العلوم والمعارف الإسلامية، فكان الدافع الأساسي والرئيس للبحث والاستقصاء، فبفضله اتسعت المدارك وتفجرت العلوم لخدمته بغية ملامسة خفايا تشريعاته ومعانيه وأساليبه، فكان نقطة الارتكاز التي تدور حولها كل العلوم[٤] .

---

[١] الإعجاز العلمي في القرآن الكريم أعمال الندوة الثالثة ، قصة المغناطيسية وكيفية تصنيع المصباح الكهربائي وتوليد الطاقة الكهربائية ، ا. د مصطفي محمد الجمال ، قسم الهندسة البحرية كلية الهندسة جامعة الاسكندرية، ص ١١٧ .

[٢] الإعجاز العلمي في القرآن الكريم مجلد أعمال الندوات ، ندوة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة (٢٠٠٤ / ١٤٢٥) ٤-١٠ ، إعجاز القرآن على مر الزمان ، كارم السيد غنيم ، ج ١ ، ص ٢٨ .

[٣] سورة فصلت : آية ٥٣ .

[٤] العلاقة بين اللفظ والمعنى وآراء القدامى والمحدثين فيهما ، عز الدين أحمد عبد العالي ، ص ١٣٨، المجلة العلمية لكلية التربية ، جامعة مصراته ، ليبيا ، المجلد الثاني . العدد السادس ، ديسمبر ٢٠١٦ م .

الخاتمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آلة وصحبه أجمعين . أما بعد ،،،

في نهاية هذا البحث فإن أبرز استنتاجاته :

١- عدم حصر دلالة الآيات عند دلالة معينة فصياغة القرآن الكريم تتسع لكل الدلالات والتطورات، فكلما تعمقنا في قراءته وتأمل معانيه وجدنا في كل سورة من سوره وفي كل آية من آياته جديدًا يؤكد إعجازه وروعة بيانه وبلاغته ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ الإسراء: ٨٥، وهذا ما يجعل التنامي الدلالي دائم مستمر على مر الزمان .

٢- وأن معجزة القرآن تتجلي يوما بعد يوم في ظهور بعض الاستدلالات العلمية والتقنية العالية والتي نقرؤها ونجدها في القرآن الكريم؛ فهو بني على أساس أنه كتاب كل العصور وكل فنون العلوم ودروبها مما يجعل دلالات ألفاظ القرآن الكريم في تنامٍ دائم مستمر .

المصادر والمراجع

- أثر استشراق التطور الدلالي في فهم النص القرآني : نماذج جزئية وموجهات كلية، مهدى أسعد عرار، فلسطين، الضفة الغربية ، جامعة بيرزيت ، كلية الآداب ، دائرة اللغة العربية وآدابها .
- أرشيف ملتقى أهل التفسير ١٤٣٢ هـ ، ٢٠١٠ م .
- الاستعارة القرآنية والنظرية العرفانية ، عطية سليمان أحمد .
- البحر المحيط في التفسير ، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) ، المحقق: صدقي محمد جميل ، الناشر: دار الفكر – بيروت ، الطبعة: ١٤٢٠ هـ، ج٤ .
- تبسيط العقائد الإسلامية ، حسن محمد أيوب (المتوفى: ١٤٢٩هـ) ، الناشر: دار الندوة الجديدة ، بيروت – لبنان، ط٥، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م .
- تحت راية القرآن، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ)، الناشر: المكتبة العصرية – صيدا – بيروت، ط ١، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م .
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) ، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس ، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ ، ج ١٢ .
- تطور البحث الدلالى ، دراسة تطبيقية في القرآن الكريم ، د. محمد حسين على الصغير ، ط١ ، دار المؤرخ العربي بيروت لبنان ، ١٤٢٠ /١٩٩٩ .
- التطور الدلالى ، الإشكال والأشكال والأمثال ، مهدى أسعد عرار ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٢٤-٢٠٠٣، بيروت ، لبنان .

- التفكير اللساني في الحضارة العربية، عبدالسلام المسدى، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ٢٠٠٩ .
- تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (المتوفى: ٤٠٣هـ)، المحقق: عماد الدين أحمد حيدر، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م ، ج١ .
- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م ، ج ٢ .
- دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية ، سنة ١٩٧٦ م ، ط٣ .
- رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ) المحقق : عبد الله شاكر محمد الجنيدي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: ١٤١٣هـ ج١ .
- الصورة الفنية في المثل القرآني دراسة نقدية وبلاغية ، المؤلف محمد حسين على الصغير ، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد، شركة المطابع النموذجية ١٩٨١م.
- الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، ترجمة عبدالصبور شاهين، دار الفكر، بيروت ، ١٩٦٨م .
- علم الدلالة إطار جديد، تأليف ف. ر . بالمر، ترجمة دكتور صبري ابراهيم السيد، جامعة عين شمس ١٩٩٥، دار المعرفة الجامعية، ص : ١٩ .

- عوامل التطور اللغوي (دراسة في نمو وتطور الثروة اللغوية)، أحمد عبد الرحمن حماد، دار الأندلس، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ ،١٩٨٣م .
- الفرقان في بيان إعجاز القرآن ، أبو محمد عبد الكريم بن صالح بن عبد الكريم الحميد ، الناشر: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م ، ج ١ ، ص ٢١٠ .
- فهم النص القرآني من خلال المنهج الدلالى، الأستاذ: جمال شلباب، مخبر الدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية، جامعة المسيلة، الجزائر، العدد الأول، ص ٧٠ .
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت ، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ ، ج ٢ ، ص ٢١ .
- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت ، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ ، ج ١ ، ص ٣٧٠ .
- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية ، شمس الدين ، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها - دمشق، ط ٢ ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- مباحث في إعجاز القرآن، د مصطفى مسلم ، الناشر: دار القلم - دمشق الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن ، الفضل بن الحسن الطبرسى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧م ، ج٥ .

- مصطلحات الدلالة العربية ، دراسة في ضوء علم اللغة الحديث ، تأليف جاسم محمد عبد العبود ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص ٥٨ .
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ج ٢، ص ٢٦٣ .
- المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي أبي الحسن عبد الجبار، إعجاز القرآن ج١٦.

الرسائل العلمية :

- أثر المجاز في النمو اللغوى ، معاني اللّغة في الاستعمال ، أسماء مغراوي ، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان – الملحقة الجامعية بمغنية ، قسم اللغة و الأدب العربي السنة الجامعية: ٢٠١٥-٢٠١٦، ص ٨٤ .
- البحث الدلالي عند المعتزلة (أطروحة دكتوراه)، على حاتم الحسن، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ٢٠٠٢ .

مجلات ودوريات :

- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، مجلد الأعمال الندوات ٤- ١٠ ، الجزء ٣ ، ص ١٣ .
- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، من إعجاز آيات : إظلام الكون .. البحار والأنهار ، أ. د/ زغلول النجار ، مجلد الأعمال الندوات ٤- ١٠ ، الجزء ٣ ، ص ١٨ .

- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم أعمال الندوة الثالثة ، الحديد وبأسه الشديد ا. د ممدوح عبدالغفور حسن رئيس هيئة المواد النووية ، ص ٥٦
- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم أعمال الندوة الثالثة ، القرآن الكريم وعلم الحشرات ا. د على على المرسي أستاذ علم الحشرات كلية العلوم جامعة القاهرة ، ص ٦٩ .
- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم أعمال الندوة الثالثة ، قصة المغناطيسية وكيفية تصنيع المصباح الكهربائي وتوليد الطاقة الكهربائية ، ا. د مصطفي محمد الجمال ، قسم الهندسة البحرية كلية الهندسة جامعة الاسكندرية، ص ١١٧ .
- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم مجلد أعمال الندوات ، ندوة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة (٢٠٠٤ / ١٤٢٥) ٤-١٠ ، إعجاز القرآن على مر الزمان ، كارم السيد غنيم ، ج ١ ، ص ٢٨ .
- العلاقة بين اللفظ والمعنى وآراء القدامى والمحدثين فيهما ، عز الدين أحمد عبد العالي ، ص ١٣٨، المجلة العلمية لكلية التربية ، جامعة مصراته ، ليبيا ، المجلد الثاني . العدد السادس ، ديسمبر ٢٠١٦ م .
- كتاب الإعجاز في القرآن والسنة ، كتاب غير دوري يصدر عن جمعية الإعجاز العلمي للقرآن والسنة بجمهورية مصر العربية ، صدع الأرض بين الإيجاز والإعجاز أ. د ممدوح عبدالغفور حسن ، العدد ٥ .
- مجلة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، أ. د/ زغلول النجار ، قضية الأرض ذات الصدع ، مارس ١٩٩٤ .
- مجلة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، أ. د/ زغلول النجار ، قضية رجع السماء ، مارس ١٩٩٤ .
- مجلة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، أ. د/ زغلول النجار، قضية إنقاص الأرض من أطرافها ، مارس ١٩٩٤ .

- مجلة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، زغلول النجار ، قضية تناقض ضغط الهواء مع الارتفاع عن سطح الأرض، مارس ١٩٩٤ .
- نماذج من الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، إعداد نخبة من أساتذة الهيئة، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مكتب القاهرة .
- نماذج من الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، الهيئة العلمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، إعداد نخبة من أساتذة الهيئة .

The Qur'anic inimitable and the semantic development of the Qur'anic text

Abstract

This research deals with the inimitability of Qur'an and the Semantic development of the Qur'anic text.it aims at showing the inimitability of Qur'an and the role of science development all over ages in the semantic development of the Qur'anic Verses.it relies on the descriptive approach that is based on identifying the characteristics of Phenomena and its nature .then analyzes them to reach their significance and reality. it also deals with Some Qur'anic verses that shows the relation of the scientific Miracle with semantic development of the Qur'anic text. it came to several results

- The Semantic of Verses isn't limited at aspecial one, but it accommodates all semantics and developments. the More we read and Contemplate its meaning, we'll find in each surah and verses what confirm its inimitability , splendors and eloquence ,in the Name of Allah " Mankind have not been given of knowledge except alittle" Surah al-Isra 85 .

The inimitablity of Qura'n Manifests day by day. Yet, it's the book

of all ages, all kind of sciences .

Keywords; the Qur'anic inimitable - Semantic development .